ثقافة

تنظم دار ابن رشد للنشر والتوزيع، الخميس بمقر مركز دال للأبحاث، حفل توقيع رواية في ظلال الرجال» للكاتبة نادية حرحش، الصادرة حديثا عن الدار.

عقد صالون عبدالناصر هلال، مؤخرا بمقره في حدائق الأهرام، حلقة نقاش حول الأعمال الروائية لإبراهيم عيسى، والتي بلغت سبع روايات من بينها «مقتل الرجل الكبير»، و«مولانا».

فاطمة الشيدي: الرجال أيضا يكتبون أدباً نسوياً

● الشعر تطور بشكل مبهر لكن قراءه تراجعوا

تصنيفات الكتابة بين شعر وقصة ورواية وغيرها من الأجناس، قد تساهم في تحديد حدود كل نمط كتابة وتقنينه، لكنها لا يجب أن تكون حدودا صارمة لها حرّاسها، تمنع على الكاتب الانتقال من جنس كتابة إلى جنس آخر، بل بالعكس فلا بدّ أن تتوفر للكاتب حرية التنقل بين أنماط الكتابة متى تمكن من شروط كل فرع منها. "العرب" حاورت الشاعرة والكاتبة فاطمة الشيدي حول حال الشعر والكتابة.

حنان عقيل

❑ في حديثها عن تجربتها الأدبية والنقدية تطرقت فاطمة الشيدي إلى بدايات رحلتها مع الكتابة، لتعترف بأن البداية المبكرة لم تكن مخططاً لها غالبا، "كانت شغفاً في البوح، محاكاة لكتابة ما، رغبة في قول شيء ما بطريقة مختلفة".

والشيدي التي كرست نفسها كاتبة وشاعرة وروائية، ولدت في مسقط عام 1973، حصلت على الليسانس في اللغة العربية وآدابها عام 1994، ودرجة الماجستير في مناهج اللغة العربية من جامعة السلطان قابوس عام 2001، ودكتوراه الفلسفة في الآداب في تخصص اللغويات الأسلوبية من جامعة اليرموك بالأردن عام 2008.

صدر لها عدد من الدواوين الشعرية نذكر منها "هذا الموت أكثر اخضرارا"، "خلاخيل الزرقة"، "مراود الحلكة"، "على الماء أكتب"، كما كتبت رواية وحيدة بعنوان "حفلة الموت"، فضلا عن عدد من النصوص والكتابات النقدية.

التعددية الشكلية

تتحدث ضيفتنا عن سبب تعدد اهتماماتها الفنية والأدبية، وتوضح "لا أظنني متعددة جدا، أنا فقط كاتبة تراوح في منطقة النص بكل ممكناته الفنية، وتصاعداته الموضوعية أو ما يمكن أن يسمى بالتعددية الشكلية، ولأنني لا أنتمي للأشكال سلفا، بكل معطياتها الجمعية الاجتماعية أو الثقافية أو الفنية، وأسعى جاهدة لتجاوزها أو الخروج عليها. ثم أنا قارئة قبل الكتابة وبعدها، وبين مفاصلها الجوهرية؛ أنا قارئة أولا وأخيرا.

وبصفتها شاعرة في المقام الأول، تتحدث الشيدي عن نجاح القصيدة العربية الجديدة في التطوير من نفسها والانطلاق نحو أفق أكثر رحابة، قائلة "لقد فعلت القصيدة العربية ذلك بقوة، وخرجت على كل الأطر الجاهزة ثقافيا وتاريخيا، القصيدة العربية الجديدة عميقة جدا وجارحة وإنسانية، إذ استفادت من التاريخ وإبداعات الآخر والثقافة التي تنتمي إليها والمعارف الحديثة

> القصيدة العربية الجديدة عميقة جدا وجارحة وإنسانية، إذ استفادت من التاريخ وإبداعات الآخر والثقافة التي تنتمي إليها والمعارف الحديثة

من التاريخ والآخر والثقافة التي تنتمي إليها والثقافات الجديدة، كما استفادت من كل المعطيات الدينية والحضارية والميثولوجية والعصرية بما في ذلك الوجع الإنساني، والظلم والقهر وكل التفاصيل، والحالة الرقمية أيضا. هذه القصيدة هي التي تستلذها الذائقة الراقية، ويستعذبها المتلقي، شاعرا وناقدا ومتذوقا، وهي بالطبع ليست كل ما يكتب، أو حتى كل ما ينشر، ولكن هذا يحدث دائما في كل عصر وفي كل الثقافات، إنها الخلاصة الصافية، إنها القليلة الممتلئة وليس الكثيرة الشائعة، ولكنها ناجحة وعميقة".

وبسؤالها عمّا يمنحه الشعر للكتابة السردية، وعن دور الكتابات الشعرية في ترسيخ التجربة السردية بشكل أفضل، تشير الشيدي إلى أن للشعر فعلا ساحرا، له فعل الجمال والتغيير، وما وُجد الشعر في عمل أو عند إنسان إلا وجعله جميلا وخاصا ونبيلا، وبالتالي فالشعر يؤثر في الرواية، إذ يمنحها الخلود، يمنحها الجمال، يمنحها الشغف واللذة ويمنحها الفارق الجوهري بين تراتبية الحكاية وشعريتها، بين سيرها البطيء والمثقل بالحكي والأحداث، وبين تحليقها العذب، وخفتها الرشيقة، وتناغم سيرها، وبالتالي يحيلها من سرد طويل مملّ إلى عذوبة حقيقية؛ وهكذا يضيف الشعر عمقا للسرد، ومتعة للمتلقي، وخلودا للعمل.

ربما تراجعت مكانة الشعر في الوقت الراهن، خاصة في مواجهة الرواية، لكن ضيفتنا ترى أن "الشعر منذ البدء هو فن نخبوي، متعال ورفيع، وليس للعامة فهمه، وليس على الجميع تذوقه، بل هو لتلك الأرواح الشاعرة، ولمتذوقي رهافته، ومستشعري لذته وجماله، وهنا أقصد النص العميق غير المنبري ولا الإعلامي الذي يريد توصيل فكرة ما".

وتضيف فاطمة الشيدي "أما اليوم، وقد وُجدت أجهزة الإعلام، فإن الشعر تخلى عن فكرة الإبلاغ نحو روح البلاغة المحضة، كما أن المدائحية أضحت عارا معيبا على الشاعر الحقيقي، مع وجودها طبعا، والغناء أصبح فنا مستقلا له شعراؤه وكلماته التي غالبا تأتي من الشعر الشعبي، أو من النصوص السهلة المكتوبة أصلا للغناء؛ بالتالي فالشعر الراهن لم يعد يحتمل صفاقة الإبلاغ، وفكرة البث، ولم يعد يحفل بالتكسب، حيث ناء بعيدا عن بساطة الغناء والترنم".

وتستطرد الشاعرة "إذن لم تتغير مكانة الشعر، غير أن دوره تغير من الإبلاغ إلى البلاغة، وبالتالي فلم يتراجع ولم يفقد مكانته، ولكنه فقد قاعدته الجماهيرية التي تخلت هي عنه، بعد أن تخلى هو عن تجسيد أحلامها وأفكارها ومعطياتها الهشة والجاهزة والمنبرية بالدفاع عن البعض من أفكارها، أو ترديد أحلامها كأغنيات جمعية، فالتراجع كان للمتلقي وليس للشعر، وعاد الشعر ليكون نخبويا كما هي حقيقته وكما يليق به، فلا ينبغي مقارنته بالحكاية، التي كانت منذ القدم ابنة الجماهير العامة".

الرواية والنسوية

كتبت الشيدي رواية واحدة وعادت بعدها إلى كتابة الشعر، وعن دوافعها لكتابة الرواية تشير إلى أنها نسبيا متأنية في النشر على الأقل في ما مضى، كما أن كتابة الرواية ليست بالأمر الهين بالنسبة إليها، لأنها تستدعي الكثير من الوقت والكتابة الجادة، والبحث والاشتغال على روح النص ومفرداته وتفاصيله، عكس الشعر الذاتي، أو النص السردي القصير الذي يمكن تشكيله بعد الدفقة الأولى بسهولة ويسر.

وتستطرد الشيدي "كتبت الرواية ذات يوم لأنه كانت لدي حكاية عميقة في رأسي، أوسع من النص والشعر وبها شخوص وحبكة وتفاصيل لن يستوعبها أي شكل آخر غير الرواية، ولا تزال لديّ حكايات في رأسي أظنها تريد أن تتشكل روايات ذات يوم، لا أعرف متى، ولذا أنا لم أتخل عن كتابة الرواية، ولكنني لا أدري متى سترى روايتي الجديدة الضوء".

وانتقالا إلى الحديث عن تصنيف كل ما تكتبه المرأة بأنه أدب نسوي، توضح فاطمة الشيدي أن الكتابة في انبثاقها الجوهري والحقيقي تنطلق من الذات، لتعبر عن مشكلاتها وقضاياها وإحساسها بما ومن حولها، ولذا فلا ضير ولا ضرر أن تكتب المرأة عن قضاياها، لأنها الأكثر إحساسا بها، واستشعارا لقهر المجتمع لها، فهذه لغتها وتلك حياتها. ولكن ليس علينا التعميم بأن يكون كل ما تكتبه المرأة مدرجا ضمن فكرة الأدب النسوي، بل هناك روايات كثيرة كتبتها نساء وأبطالها رجال، وفكرتها بعيدة تماما عن قضايا المرأة، فهذه لا تدخل في باب الأدب النسوي.

أنا قارئة أولا وأخيرا

> الشعر فقد قاعدته الجماهيرية التي تخلت عنه، بعد أن تخلى هو عن تجسيد أحلامها وأفكارها ومعطياتها الهشة والجاهزة

وتختم الشاعرة فاطمة الشيدي "هناك تصنيفات عديدة للرواية أو العمل الأدبي، فهناك الرواية التاريخية، وهناك الرواية السياسية، والبوليسية، وغيرها من التصنيفات، فلم لاتكون هناك الرواية النسوية؟ إنها ليست وصمة بل هي تصنيف فكري حسب الموضوع الذي تطرحه الرواية، لذا نعم، يمكننا أن نطلق فكرة الرواية النسوية على الروايات التي تهتم بقضية المرأة، وبمحاولة كشف الظلم أو القهر الذي تتعرض له المرأة في مجتمعاتنا أو في أي مجتمع آخر، أو حتى تكون بطلة الرواية امرأة لها فكر نسوي، تريد بثه لتحريك قضية المرأة باتجاه ما، انطلاقا من مظلوميتها الاجتماعية والثقافية والإنسانية القديمة والتاريخية ربما، ولكن بالطبع التعميم هو مشكلة في عالمنا العربي، فليس كل ما تكتبه المرأة أدبا نسويا، بل أحيانا البعض ممّا يكتبه الرجل يمكن أن يدخل في تصنيف الأدب النسوي".

لوحات بالكلمات

شرف الدين ماجدولين
كاتب من المغرب

❑ تبدأ رواية "الإنجيل يرويه المسيح" لجوزي ساراماغو، على النحو التالي "تبزغ الشمس من إحدى الزوايا العالية، إلى يسار أي شخص ينظر إلى الصورة"، قبل أن يشرع السارد في وصف مكونات لوحة متخيلة عن صلب المسيح، ضاجة بالتفاصيل والشخوص الإنسية والملائكية المعذبة والشموس الناطقة، مقاطع وصفية لا تنسى، تحكي انطباعات الناظر عما يعتمل في اللوحة من أحاسيس جهنمية، وتستكمل المحتمل في الصورة عبر تأويلات مخترقة بالشك والحيرة.

هكذا على امتداد أزيد من ست صفحات، تُفتتح الرواية الجليلة، ويعيش القارئ داخل لوحة، تكون بمثابة العالم التخييلي الكامل الذي تدور باقي الفصول في فلكه. يسمي نقاد الفن الروائي هذه التقنية السردية بـ"الإكيفرازيس"، وهي ما يمكن ترجمته بـ"الوصف الروائي للوحة"، حيث تتحول الرسومات والمنحوتات والتركيبات إلى مكون نصي وتكوين جمالي، وآلية أسلوبية في تخييل المعاني الإنسانية، سنجد هذه التقنية في أغلب روايات القرنين الثامن والتاسع عشر، حيث ازدهر الفن الرومانسي المولع بالوقائع والشخصيات التاريخية، واخترق جدران المنازل والقصور والصالونات، وشكل أعلامه ومدارسه وتحفه الفنية أحد ملامح المشهد الثقافي الأوروبي، الذي احتضن روايات تولستوي وستاندال وفيلدينغ وجين أوستين وفلوبير ودستويفسكي وغيرهم ممن تملكهم النزوع التاريخي، الذي ركب الرسامين الرومانسيين.

تنسب أغلب تلك اللوحات المتخيلة لرسامين وهميين، بيد أن الفن الروائي انشغل على الدوام بالتحف الفنية الكبرى واللوحات الخالدة لفنانين عالميين كبيكاسو ورامبرانت ودافينشي وسيزان وجياكوميتي موديغلياني وغوغان والعشرات غيرهم، وتحولت البعض من أعمالهم الشهيرة، إلى مرجعيات بصرية هادية للسرد، ومثيرات ذهنية محورية تلملم مفاصل الروايات، وتحقق تلك الوحدة التي تحدث عنها الروائي يشار كمال والرسام عابدين دينو في محاورتهما بعنوان "الوجه والقفا".

يمكن أن نقرأ الفصل الطويل الذي خصصته رضوى عاشور للوحة "لاغيرنيكا" لبيكاسو في نصها "أثقل من رضوى"، إذ تعيد ترتيب مقامات التخييل، وتنقلها من حدث الجريمة الواقعي في ميدان التحرير إبان ثورة يناير، إلى ذاكرة القمع الفاشي للثورات الإنسانية، كما يمكن أن نقرأ ذلك المقطع الطويل الذي خصصه عبدالكريم الجويطي في روايته "المغاربة"، حديثة الصدور، للوحة غويا "عراك بالهراوات"، حيث ينتقل من حرب الصحراء إلى تخييل كنه المجابهة الإنسانة الأزلية عبر شخصيتي غويا، فتتداخل حرارة الصحراء ولعلعة الرصاص والتوق الجهنمي إلى الغلبة، مع ما يعتمل في اللوحة من انخراط جارف للأيدي والعصي في حمى القتل الأسطوري، وتدريجيا تتحول اللوحة إلى ملك للروائي تتكلم حروفا وكلمات، لا ألوانا وضياء.

حكايات نساء البادية اللائي قتلهن الأهل

على مدى قرون خلق المجتمع الذكوري العربي حجابا على حياة النساء اللواتي تعرضن للقمع والقهر وحتى القتل، بداعي الشرف وغيره من التعلات التي لم تطفئ نار جرائمها السنوات والقرون. فبقيت حكايات نساء كثيرات طي النسيان، دفينة قبورهن المجهولة. ولعل استرجاع قصصهن اليوم من قبل الكتاب والباحثين أمر ضروري لفضح جرائم الشرف ومناهضة بقاياها التي مازالت موجودة في قاع المجتمعات العربية الذكورية.

❑ **بيروت** – قد لا تتسع مخيلة الأدباء والكتاب لسرد أحداث أكثر من خمس سنوات من الحرب في سوريا، المثقلة بحكايا حبرها دم، وتختلف عن غيرها من الروايات بأن لا نهاية واحدة لها إنما نهايات متعددة لشكل الموت.

المأساة المستمرة منذ أكثر من خمس سنوات والتي أدت إلى مقتل أكثر من 250 ألف شخص تنتج يوميا العشرات أو ربما المئات من المشاهد والصور والأحداث، التي لا يستنبطها كاتب بل تولد جاهزة وحاضرة من وحي الألم اليومي. ومن بين الحكايا تخرج رواية الكاتبة السورية لينا هويان الحسن، التي تحمل عنوان "الذئاب لا تنسى"، والتي تستحضر فيها أرواحا كثيرة جرفها المد الحزين على الأرض السورية.

وفي الرواية الصادرة حديثا عن دار الآداب في بيروت، تقدم المؤلفة واقع البدو والبادية السورية في ظل سيطرة الجماعات المسلحة مستندة إلى روح الذئاب الحرة، كرمز لأسى أصاب الأمهات من جراء الفقد اليومي للأبناء.

وكانت لينا هويان الحسن التي تنتمي إلى قبيلة الجميلة القيسية التغلبية، قد ولدت عام 1977 في بادية حماة غرب سوريا، ونشأت وتعلمت هناك، ولذلك فهي كتبت أول النصوص الروائية عن البادية السورية، لذا كرست لها عدة أعمال مثل "معشوقة الشمس" و"مرآة الصحراء" و"بنات نعش" و"سلطانات الرمل" و"رجال وقبائل".

في روايتها الجديدة لم تكتف الكاتبة بتسليط الضوء على عوالم البادية السورية إنما على عموم صحارى الشرق الأوسط، حيث امتدت الرقعة الجغرافية التي تناولتها أعمالها إلى بوادي وصحارى الأردن والعراق ونجد.

وهي تشير إلى أنها تكتب عن المشروع الصحراوي دونما تقديس أو تدنيس وكما يفعل الأدب دائما: فهي ترى أنها تزيح الستار عن المخبوء والمخفي وفي نفس الوقت ضرورة التدوين لمجتمع يزول ويتلاشى أمام طور عالمي جديد يفرض قيما جديدة وأنماط عيش مختلفة.

واستنادا إلى الذاكرة الصحراوية تورد المؤلفة في كتابها أن الذئب يعوي حزناً على فقد أنثاه، بينما الذئبة تطلق عواء الحزن عندما تفقد وليدها.

وتربط الكاتبة التي أجبرتها الحرب على النزوح مع عائلتها إلى لبنان عواء الذئبة ببكاء أمها على شقيقها ياسر الذي اختطف وقتل ظلماً خلال الحرب الدامية الدائرة في سوريا، والتي طالت عمق البادية السورية.

ويشكل مقتل ياسر بداية لسرد عن تقاليد وعادات متناقضة مع أبسط حقوق الإنسان تجاه النساء، حيث تسلط الكاتبة الضوء على عادة قتل الإناث باسم الشرف لمجرد أن الفتاة فكرت في اختيار شريكها.

ومن هنا اشتهرت بادية الشام بالآبار والمغارات التي حُفرت في عهد الرومان، ومع الوقت حولها البدو إلى مدافن لفتيات يُقتلن باسم الشرف وصارت جثثهن في آبار حملت أسماء القتيلات. وسيكتشف القارئ في متن الرواية الذي يميط اللثام عن المخبوء من تفاصيل البدو الحياتية، أن النظرة الشرقية للشرف لا تزال تحت رحمة مجتمع ذكوري يأبى تغييرها، كما أنها تقع تحت سلطة الاستبداد السياسي الذي أبرم اتفاقيات مستترة مع العنف الديني المتطرف.

ويتنوع السرد في هذا الرواية بين حاضر وماض كليهما مر وحزين، حيث تستعيد الكاتبة قصة الشابة الأيزيدية التي هربت من جبل سنجار بدافع الحب قبل ثلاثين عاما فلاقت حتفها على أيدي أهلها إضافة إلى شخصية ونسة الأيزيدية التي تواجه المصير نفسه. كما تعرض الحسن قصة خاتون عمشة وهي ابنة شيخ عشيرة كبيرة، وقعت في غرام قائد فرنسي وقتلت قبل زمن طويل، وقد حاولت الكاتبة رسم ملامحها المحتملة، إذ تحولت خاتون لاحقا إلى مسلسل تلفزيوني عرض في شهر رمضان الماضي.

وتسعى الحسن من خلال روايتها إلى مناهضة العنف والتطرف الديني والدكتاتورية السياسية من خلال سرد قصصي يتجه إلى تحديد المسؤولية لجميع الأطراف المتقاتلة في سوريا، فهي ترمي إلى نقد "الثورات"، ولا تتوانى عن مهاجمة من أسمتهم "سارقي الثورات"، وتعرج على الطريقة المستفزة التي تعامل بها الضباط المنشقون مع الضباط القدامى في سوريا، ما أدى إلى الاشتباك.

باختصار

◄ وضعت لجنة التراث العالمي بمنظمة يونيسكو خمسة مواقع أثرية ليبية ضمن قائمة التراث العالمي المهدد بسبب الصراع الدائر في البلاد.

◄ أجلت إدارة معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي، إقامة المعرض أسبوعا كاملا، نظرا للأحداث الأخيرة التي شهدتها تركيا مؤخرا، ليفتتح المعرض في الـ25 من يوليو الجاري، ويستمر حتى الـ31 من الشهر نفسه.

◄ تصدرت رواية "الألعاب" لجيمس باترسون ومارك سوليفان قائمة نيويورك تايمز للروايات الأكثر مبيعا سواء للنسخ الورقية أو الإلكترونية خلال الأسبوع الأخير.

◄ يتبارى 115 خطاطا من 15 دولة عربية وأجنبية في تجسيد جماليات الخط العربي، خلال الدورة الثانية للملتقى الدولي للخط العربي بالقاهرة، من 17 إلى 24 يوليو.

لمراسلة المحرر
culture@alarab.co.uk